İslam Araştırmaları Dergisi, 45 (2021): 209-218

Vefeyat
Obituary

وميض الذكريات مع أستاذ الأجيال العلامة المحدِّث د. نور الدين عتر

فُجع العالم الإسلامي صباح يوم الأربعاء الخامس من شهر صفر الخير سنة ١٤٤٢هـ، الموافق (٢٣ أيلول ٢٠٢٠م) برجلٍ قلَّ من أقرانه مثالُه، وعزَّ بين أترابه نظيرُه، قد آلم فقده الموافق والمخالف، فأثنى عليه الناس بلا نزاع، وكانت الإشادة بمكانته العلمية محلَّ إجماع.

تشرَّف بالتلمذة عليه فئام كثيرون، وكان بحق أستاذ الأجيال، في ستة عقود، إنه شيخنا العلامة الجليل، والمحقق النبيل، المفسِّر المحدِّث، فضيلة الأستاذ الدكتور نور الدين بن محمد بن حسن عِتْر، الحلبي مولدًا ونشأة، الحنفي مذهبًا، الأزهري دراسة، نزيل دمشق والمتوفى بها، تغمده الله بالرحمة والرضوان، وطيَّب ثراه، وأدام ذكراه.

والعالِم إنما يُبقي الله تعالى ذكرَه بعد وفاته بالعلم الذي أفاده ودرَّسه ونشره وصنَّفه وانتفع الناس به، كما روى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا مات الإنسانُ انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»،[1] وهذا العلم النافع يكون بقاؤه وبركته ونماؤه في وعائين: وعاء التلاميذ، ووعاء التصانيف.

أما وعاء التلاميذ

فقد تخرَّج بشيخنا رحمه الله في علوم القرآن الكريم والحديث الشريف ما يزيد على خمسين دفعة من الطلاب والطالبات الجامعيين في كلية الشريعة وكلية الآداب بجامعة دمشق، وكلية الآداب بجامعة حلب، وفرع دمشق لجامعة أم درمان الإسلامية، وفرع دمشق لجامعة الأزهر، وقبل ذلك في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقبلهم طلاب المدارس الثانوية بحلب، وغيرهم من طلاب العلم ممن لازموا دروسه، وحرصوا على صحبته،

[1] **صحيح مسلم**، (١٦٣١).

واستفادوا من مجالسته ومجالسه في دمشق وحلب وسائر ما زاره من البلدان، وفي سنواته الأخيرة عقدت له مجالس في حرم الجامع الأزهر، فدرَّس فيه وانتظم في سلك مدرسيه.

وهؤلاء جميعًا في قرابة ستين عامًا يشكلون أجيالًا قد تختلف خصائص كل جيل منها عن الجيل قبله والجيل بعده، وهم اليوم قد وَزَّعهم الدهر في أقطار الأرض، ولو أراد متتبع إحصاءهم لعجز عن إحصاء المبرزين من خواص تلاميذ الشيخ رحمه الله تعالى خلال خمسين عامًا، ممن استفادوا منه ونهلوا من علمه، وتحلقوا حول مائدته، وتأسسوا بكتبه، فظهر أثره جليًا واضحًا في بحوثهم وتصانيفهم ودروسهم، فضلًا عن عامة الطلاب من المارة في طريق العلم والجامعات.

ومن إكرام الله تعالى للعالم في حياته وبعد مماته: أن يَجمع له خصلتين مما ذُكر في الحديث الشريف: «"علم يُنتفع به" و"ولد صالح يدعو له"»، فيكون من جملة تلامذته: أولاده الذين نشَّأهم على التدين والاستقامة، وعلى طلب العلم وتحصيله، وقد أكرم الله شيخَنا رحمه الله بذرية صالحة تحمل اسمه النَّسبي والعلمي معًا.

وأما وعاء التصانيف

فقد أربت مؤلفاته المبتكرة مع تحقيقاته الرصينة رحمه الله على الستين –من كتاب ذي مجلدات إلى رسائل لطيفة– في مجالات علوم القرآن الكريم، وعلوم الحديث الشريف، والسنة المطهرة، والسيرة الشريفة، والفقه، والدعوة إلى الله تعالى، وهي كتب معتمدة في بابها، تلقَّاها العلماء بالقبول، اعتمد كثير منها مقررًا دراسيًّا في جامعات العالم الإسلامي ومدارسه ومعاهده العلمية.

فمن مؤلفاته على سبيل المثال لا الحصر

– **علوم القرآن الكريم**، وهو كتاب لطيف مختصر، اعتمدته كثير من الجهات مقررًا دراسيًا لهذه المادة.

– **الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين**، وهو الأطروحة التي نال بها الدرجة العلمية: العالِمية (الدكتوراه) سنة (١٩٦٤م)، وأثنى عليها كبار الأساتذة، وكان هذا الكتاب هلال البشائر للأمة بظهور عالم جديد يحمل أمانة العلم ورايته.

– **منهج النقد في علوم الحديث**، كتب مقدمته في رمضان ١٣٩٢هـ، (١٩٧٢م) وهو ترتيب مبتكر للعلوم والأنواع الحديثية، بأسلوب سهل رصين، وحظي بثناء أجلاء العلماء.

- **الحج والعمرة في الفقه الإسلامي**، وهو من الكتب التي بدأ شيخنا نواتها في الديار المقدسة، عندما جاور في المدينة المنورة مدرسًا، وأكرمه الله بتكرار الحج وتدريس أحكامه، وهو كتاب مُجوَّد منوَّر، فيه رصانة قلم العالم، وفيه لواعج قلب المحب، وأورد فيه نصوص الحديث الشريف، وذكر مذاهب الفقهاء، بتناسق بديع وتحرير دقيق، وهذا الكتاب من أحب الكتب إلى شيخنا رحمه الله، فإنه قال عنه: «كتبت هذا الكتاب بدموعي»[٢] يشير إلى الأحوال التي وردت عليه عند تصنيفه له رحمه الله. واختصره بعد ذلك في منسك لطيف.

- **إعلام الأنام شرح بلوغ المرام من أحاديث الأحكام**: في أربعة مجلدات، وهذا أعظم وأكبر كتب الشيخ رحمه الله تعالى، أدى به عن الأمة دَينًا أرهقها في القرن الأخير لمَّا قُرِّ في الجامعات والمعاهد العلمية كتاب الصنعاني **سبل السلام**، أو كتاب الشوكاني **نيل الأوطار**، وفيهما رواسب من آثار مذاهب الزيدية، إلى جانب شذوذات فقهية معروفة! فنهض شيخنا رحمه الله لشرح **بلوغ المرام** منذ أن أملى شرح بعض أحاديثه لما كان مجاورًا في بلد الحبيب صلى الله عليه وسلم على طلاب الجامعة الإسلامية ١٣٨٥هـ (١٩٦٦م)، ثم درَّس مختارات منه في جامعة دمشق، في السنة الدراسية الثانية والثالثة والرابعة، وطُبِعت شروح تلك المختارات في كتب جامعية: **دراسات تطبيقية في الحديث النبوي / ١** تضمن أول قسم العبادات، **ودراسات تطبيقية في الحديث النبوي / ٢** تضمن بقية قسم العبادات والمعاملات، **دراسات منهجية في الحديث النبوي** تضمن قسم الأسرة والمجتمع، ثم شرح شيخنا رحمه الله ما تبقى من الكتاب ونظمه في سلك واحد هو **إعلام الأنام شرح بلوغ المرام من أحاديث الأحكام** فخرج فريدًا في بابه، تضمن إضافة إلى شرح معنى الحديث: دراسة أسانيده واختلاف رواته، ومعاني غريبه، وأسباب وروده، وما يُستنبط منه من الأحكام، واختلاف أقوال العلماء من المذاهب الأربعة، مع ذكر أدلتهم، نقلًا عن الكتب المعتمدة في مذاهبهم، ولغة الكتاب تناسب الطالب الجامعي في بيانها وعدم تعقيدها وسلاسة أسلوبها، مما يجعل الكتاب حريًا أن يدرس في مادة "أحاديث الأحكام". وقد درَّس شيخنا رحمه الله كتابه بدمشق في مسجد (الشمسية) بحي المهاجرين في سفح قاسيون، وكان مجلسًا يضم نخبة من طلاب العلم من أهل دمشق والواردين عليها عربًا وعجمًا إضافة لبعض جيران المسجد، فكان شيخنا رحمه الله يراعي الحاضرين جميعًا في شرحه وبيانه. ومما سمعت من شيخنا رحمه الله لمَّا جرى ذكر الصنعاني والشوكاني مرة -وقد درَّسنا في الجامعة أبوابًا من نيل الأوطار- فقال ما معناه: إننا رغم الخلاف مع الصنعاني والشوكاني إلا أننا نُكبر موقفهما الجريء في بلدهما اليمن بإعلانهم تحولهم عن تشيعهم الزيدي إلى السنة والجماعة، رغم بعض الشوائب في تحولهم.

٢ سمعت ذلك من الأستاذ رفعت بن عبد الرزاق الحمصي جار شيخنا في حيِّه رحمهما الله.

ومن تحقيقاته لكتب الأئمة الأعلام

تحقيقه لأهم الكتب في علوم الحديث لأساطين الأئمة الحفاظ:

- **الرحلة في طلب الحديث** للإمام الخطيب البغدادي.

- **علوم الحديث** للإمام ابن الصلاح رحمه الله، أم الباب في علوم الحديث، وطبعة شيخنا الأخيرة من هذا الكتاب هي أجود الطبعات إلى الآن.

- **إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق** صلى الله عليه وسلم للإمام النووي رحمه الله تعالى.

- **المغني في الضعفاء** للإمام الذهبي رحمه الله تعالى.

- **شرح علل الترمذي** للإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى، وهذا الكتاب كأنما فرَّ من القرن الرابع الهجري ليكتب في القرن الثامن! حلَّاه شيخنا بتعليقاته الشارحة الموضحة المكملة لفوائده وبدائعه. وقد سمعت من شيخنا رحمه الله أنه بعد أن شرع في عمله على الكتاب بلغه أن أحد الأفاضل قد تقدم به في أطروحة علمية، فأشار عليه بعضهم أن يتوقف عن عمله طالما أن غيره قد سبقه إليه وسيطبع الكتاب!، لكن طريقة الشيخ رحمه الله أن لا يتوقف عن عمل بدأه مادام ممكنًا، وأنهى الكتاب وطبعه في أوائل القرن الخامس عشر الهجري، بداية الثمانينيات الميلادية. ومما سمعته من شيخنا رحمه الله أنه رأى في ذلك الوقت الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله في الرؤيا، وقال له الحافظ: «ادع الله لأهل حلب!»، وكانت حلب -وسورية كلها- في ذلك الوقت تمر بمحنة مصغرة بالنسبة إلى محنتها الحالية...، وبعد عشرين عامًا أعاد الشيخ النظر في تحقيق الكتاب، وأضاف إليه فوائد، وجرى العزو إلى مطبوعات الكتب بعد أن كان العزو إلى مخطوطاتها، وكان شيخنا رحمه الله لا يقتصر في عمله على مراجعة المطبوعات بين يديه بل كان يرجع إلى المخطوطات إن تيسر ذلك. وقد شرفني شيخنا بتكليفي بضبط الكتاب بالشكل، وتصحيح تجارب الطبع، للطبعة الثانية ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م).

- **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**، وهو من الأعمال التي أنجزها شيخنا رحمه الله في أيام مجاورته بالمدينة المنورة على صاحبها الصلاة والسلام، وبعد ربع قرن أعاد طباعته في دمشق بتحقيق جديد، ومقابلة بنسخ خطية نفيسة، وتكميل فوائد الكتاب بتعليقات تثريه مما يحتاجه المطالع والدَّارس. وقد شرفني شيخنا رحمه الله بتكليفي بتصحيح تجارب الطبع، للطبعة الثالثة.

عود على بدء مع العلم من المهد إلى اللحد

ولد شيخنا رحمه الله تعالى في حلب الشهباء، مدينة العلماء والأولياء، لأبوين صالحين كريمين يرجعان في نسبهما إلى دوحة العترة الطاهرة، في ١٧ صفر ١٣٥٦هـ (١٩٣٧/٤/٢٨م).

جدّه لأمه هو سراج حلب: الشيخ محمد نجيب سراج الدين رحمه الله تعالى.

ترعرع في بيئة تحب العلم والدين، فدرس الثانوية الشرعية في المدرسة الخسروية الشهيرة بحلب، وتخرج منها بتفوق سنة (١٩٥٤م)، وكان تحت نظر خاله وأستاذه وصهره فيما بعد العلامة الجليل الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى، والذي كتب إهداء إليه في فاتحة "**منهج النقد**".

قصد الأزهر بمصر، فدرس في كلية الشريعة، وتخرج منها، وكان الأول على زملائه (١٩٥٨م)، عاد بعدها إلى بلده حلب مدرسًا للتربية الإسلامية في ثانوياتها، إلى أن رجع إلى مصر ليتم مسيرته العلمية، وينال شهادة العالِمية (الدكتوراه) بتقدير (ممتاز) سنة (١٩٦٤م)، وكان من شيوخه في مصر كبار علمائها، ومنهم:

- الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف.

- والشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، المشرف الأول على أطروحته.

- والشيخ د. محمد محمد السماحي، المشرف الثاني على أطروحته، وقد استفاد منه شيخنا إفادة عظيمة.

- والشيخ د. محمد محمد أبو شهبة، وكان شيخنا معظمًا لأستاذه، وأثبت تقريظه لكتاب **منهج النقد في علوم الحديث**، الذي وصف فيه الأستاذُ تلميذَه بالعلامة، وكان شيخنا آنذاك في السادسة والثلاثين من عمره.

- والشيخ مصطفى مجاهد، وكان له في قلب شيخنا مكانة عظيمة، فسمى ولده الأول رحمهما الله (مجاهدًا) تيمنًا به، وكتب له الإهداء في أول كتاب: **الرحلة في طلب الحديث**.

بعد حصول شيخنا على الدكتوراه تعاقد مع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام (١٩٦٥- ١٩٦٧م) رغبة في الجوار بها، ولا بد لمن يسكن المدينة محبة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينال قِراه، فنال القِرى، وكتب الله لكتبه القبول.

ثم انتقل إلى مدينة دمشق مدرسًا علوم القرآن الكريم والتفسير والحديث الشريف وعلومه في كلية الشريعة من جامعتها (١٩٦٧- إلى تقاعده). ورأس قسم علوم القرآن والسنة فيها. كما أسند إليه تدريس ما يتعلق بالقرآن الكريم والحديث الشريف في كلية الآداب من جامعة دمشق، وكلية الآداب من جامعة حلب. فكانت له رحلة أسبوعية بين دمشق وحلب يغتنم ساعاتها في مراجعة بعض مهامه العلمية والتدريسية.

وفي أواسط الثمانينيات من القرن الماضي غضَّت السلطات السورية طرفها عن نشاطات المفتي العام لسورية الشيخ أحمد كفتارو في مجمع (أبي النور) بدمشق، في افتتاح فرع لكلية الدعوة الليبية، ثم فرع لكلية الأوزاعي اللبنانية، ثم فرع لجامعة أم درمان الإسلامية السودانية، وقد دُعي شيخنا إلى التدريس في بعض تلك الفروع، وخاصة أنها سبقت جامعة دمشق الرسمية في افتتاح أقسام الدراسات العليا في أصول الدين وفي الشريعة، فكانت موافقته على التدريس فيها -مع تحفظه من بعض الأمور- تغليبًا لجانب النفع والفائدة للطلاب، وعملًا بمشورة شيخه العلامة عبد الله سراج الدين رحمه الله وإذنه بذلك.

ثم خطا معهد "الفتح الإسلامي" خطوات صنوه "أبي النور" وغُضَّ الطرف عن نشاطاته، فافتتح فرعًا لجامعة الأزهر، درس شيخنا فيه أيضًا.

إلى جانب التدريس في الجامعات، كان شيخنا يدرِّس في المساجد أيضًا، فدرَّس في مساجد حي المهاجرين الذي يقطن فيه بدمشق، في جامع "نافذ أفندي" وجامع "ظبيان" وجامع "الشمسية"، وكان يدرِّس ببعض مساجد حلب أيضًا، أذكر منها مسجد "الرشيد".

ولما استُحدث برنامج التدريس في "الجامع الأموي" بإشراف الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، وكانت الدروس تصوَّر لعرضها في الرائي "التلفزيون"، جُعل لشيخنا درس في **"موطأ الإمام محمد"** وكان شيخنا لا يرغب بالتصوير، فزار الشيخ صادق حبنكة الميداني، ورجاه بأدب جم، وتواضع يندر عند العامة أن يكلِّم د. البوطي كي يزيل عنه وعن زملائه الحرج بامتناعهم عن الظهور الإعلامي تورعًا وتقوى.[٣]

استمر شيخنا رغم تقدم سنه، في مسيرته العلمية والتعليمية، وفي إفادة الطالبين إلى أن وافاه الأجل بدمشق الشام، ودفن إلى جوار ولي من كبار أوليائها وهو الشيخ أرسلان الدمشقي رحمه الله تعالى، في بقعة مباركة عسكرت فيها جيوش الصحابة رضي الله عنهم عند فتح دمشق بين باب توما والباب الشرقي، رحم الله شيخنا وأنزله في المقعد المقرب عنده.

* * *

ذكريات الصِّلات

أول مرة رأيت فيها شيخنا رحمه الله تعالى كانت سنة (١٩٨١م) في صلاة جمعة، وكنت طفلًا يصطحبني والدي رحمه الله تعالى معه، فالتقى والدي في المسجد الذي صلينا فيه مع خطيب المسجد وثلة من أهل العلم والفضل من أساتذة كلية الشريعة بدمشق، هم: د. نور الدين عتر، و د. إبراهيم السلقيني رحمهما الله تعالى، ود. أحمد الحجي الكردي حفظه الله تعالى، ثم خرجوا جميعًا لزيارة رجل جليل مُعمَّر هو الشيخ الطبيب رفيق السباعي رحمه الله من خاصة الملازمين لشيخ الديار الشامية المحدث الأكبر الشيخ محمد بدر الدين الحسني رحمه الله، ومما جرى في تلك الزيارة: إجازة الشيخ رفيق للحاضرين عن شيخه البدر رحمه الله تعالى.

عدت إلى البيت بفوائد ثمينة كتبتها على ورقة آنذاك. وصار اسم شيخنا من الأسماء التي تشرفت بلقاء أصحابها، فصار يلفت انتباهي كلما رأيته على ظهر كتاب، ومن تلك الكتب في مكتبة والدي: الطبعة القديمة من **علوم الحديث** لابن الصلاح، و**المغني في الضعفاء** للذهبي.

بعد التخرج من الثانوية (١٩٨٨م): انتظمت في طلاب السنة الأولى من قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة دمشق، وكنت أرى شيخنا رحمه الله بقامته الممشوقة وعمامته السامقة يحمل حقيبته ويمر مسرعًا وسط خليط هائل من الطلاب، كانت دروسه لطلاب السنة الثانية في مدرج يتسع للمئات، وكان كالأسد الهصور في بيئة صعبة تنكرت للدين بعد أحداث الثمانينيات في سورية، التي كان من آثارها إغلاق المساجد والمصليات في الكليات الجامعية، وكان بعض الطلاب والطالبات يصلون خفية في الحدائق أو خلف الأبنية، وكنت أرى بعضًا من الطلاب يتبعون د. نور الدين عتر رحمه الله إلى مكتبه، حيث يتمكنون من الصلاة بطمأنينة!.

ثم قدَّر الله لي الجوار في المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام بضع سنين، وبعد عودتي إلى دمشق (١٩٩٥م) لازمت دروس الشيخ رحمه الله تعالى في مسجد صغير قرب داره | مسجد ظبيان | حيث كان يدرِّس بين المغرب والعشاء **صحيح البخاري** و**شرح علل الترمذي**، وكان الطلاب نخبة من المهتمين من طلاب الجامعات وغيرها، ثم بعد الفراغ من صلاة العشاء يأذن لبعض الطلاب بمرافقته ثم يستضيفهم في بيته.

في المرة الأولى التي كنت فيها من عِداد أولئك الطلاب الذين يستضيفهم شيخنا: رأيت تواضعه بعد أن كنت أرى هيبته وجلالته رحمه الله. وفي تلك الزيارة الأولى علمت

٣ ذكر ذلك الدكتور أحمد السعدي من تلاميذ الشيخ صادق حبنكة رحمه الله.

كيف يشجع شيخنا طلابه ويسأل عن آرائهم، وربما طلب الاستفادة منهم. كان يومها لدى شيخنا "بحث مُحَكَّم" جاءه من إحدى الجامعات السعودية، وهو تحقيق مخطوط، وكانت فيه عبارة أشكلت، أثبتها المحقق دون تنبيه عليها، وأشكلت على شيخنا، فعرض الأوراق على الطلاب الحاضرين ليتداولوها، لعل لدى أحد منهم توجيه لتلك العبارة، ولما وصلت الأوراق إلى يدي تجاوزت تلك العبارة المغلقة إلى صور المخطوط التي أرفقها المحقق، فإذا بإشارة إلى (لَحَق) كتب بخط دقيق في حاشية الورقة وسط طرر مزدحمة، فإذا بالكلمة التي أزالت الإشكال! كان فرحي بذلك عظيمًا، وسعادتي كبيرة، حينما تهلل وجه شيخنا لذلك. ثم قام من مجلسه، وعاد بعد قليل وبيده نسخة من كتاب **علوم الحديث** لابن الصلاح، ناولني إياها مكافأة لقراءة ذلك اللحق. ومنذ تلك النفحة المباركة أمسيت معروفًا لدى شيخنا، وبدأت صلة "التلمذة" تتوثق.

بعد ذلك (١٩٩٧م) تم افتتاح قسم للدراسات العليا "شعبة السنة وعلوم الحديث" في فرع دمشق من جامعة أم درمان الإسلامية في السودان ضمن "مجمع أبي النور"، وهو أسبق من مثله في جامعة دمشق، فسارعت إلى التسجيل، ثم انتظمت في الدروس، حيث كان شيخنا د. نور الدين عتر رحمه الله يدرسنا مادة "الحديث التحليلي" وهي أبواب مختارة من **نيل الأوطار** للشوكاني، وعلوم الحديث من **شرح علل الترمذي** لابن رجب، ومحاضرات في علل الحديث وأصول الجرح والتعديل أخرجها شيخنا رحمه الله بعد ذلك في كتابيه: **أصول الجرح والتعديل وعلم الرجال** و**لمحات موجزة في أصول علل الحديث**. وفي خلال ذلك العام الدراسي تمتنت الصلة بشيخنا أكثر فأكثر، (تلمذة) في المسجد ثم في الجامعة. وكان شيخنا رحمه الله يركز في محاضراته على نقطتين مهمتين، يوصي بهما الطلاب دائمًا:

– أن الشروع بالعمل مُلزم، وأن طريق العلم للطالب الجامعي يجب أن يصبر السالك فيه على المداومة والاستمرار حتى بلوغ غايته من الدرجة الجامعية العليا.

– عدم الانشغال بالنوافل عن الفرائض، والنوافل هنا هي الأعمال العلمية التي يستعجل بها بعض الطلاب من تحقيق مخطوط أو نشر كتاب أو نحو ذلك قبل إنجاز الفرائض وهي الأطروحة الجامعية في مرحلة الماجستير أو الدكتوراه، وقد اضطررت مرة إلى الانشغال بنافلة لكنها كانت فريضة وقت بالنسبة لي،[٤] فلم أجسر على تقديمها لشيخنا رحمه الله، فكتبت له الإهداء على النسخة، ثم دفعتها إلى ولده ليدسها في مكتبة والده.

ومما كان يحرص عليه شيخنا رحمه الله في دروسه: أن يتيح للطلاب فرصة القراءة بين يديه، سواء في ذلك دروسه الجامعية أو دروسه المسجدية أو دروسه المنزلية.

وكان يؤكد على ضرورة مراجعة المصادر والاعتماد عليها، وعدم الاكتفاء بالذاكرة. كما كان يرشد إلى الأخذ عن المصدر الأقدم وعدم الاكتفاء بالمراجع المتأخرة التي نقلت عنه.

لم تكن دروس شيخنا رحمه الله دروسًا جافة لا تلقى فيها إلا المعلومات المرصوفة؛ بل كانت دروسًا مفعمة بالروح والتزكية، وكم كانت بعض الأحاديث الشريفة تثير لدى شيخنا رحمه الله الوجد الكامن في قلبه فيفيض عبرات رقراقة تنحدر من عينيه على وجنتيه، وما زلت أذكر من ذلك قراءته لحديث جمل جابر، واستغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم له ليلةَ البعير خمسًا وعشرين مرة.[٥]

* * *

تشرفت في الأعوام (١٩٩٩-٢٠٠٥م) أن كان شيخنا رحمه الله هو المشرف على أطروحتي العلمية لنيل درجة الماجستير: **منزلة مدار الإسناد** التي طبعت فيما بعد باسم: **معرفة مدار الإسناد**، وقد انتهيت فيها إلى كثير من النتائج التي تخالف ما هو مقرر في كتب مصطلح الحديث المتأخرة، فلم يأمرني شيخنا رحمه الله بتغيير شيء من تلك النتائج. ثم كتب لي تقديمًا لها.

ثم كان مشرفًا على أطروحة الدكتوراه (٢٠٠٧-٢٠١١م): **أحاديث التفسير من الأقوال المرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**.

كانت تلك السنوات (١٩٩٧- ٢٠١٢) سنوات متميزة عرفت فيها شيخنا رحمه الله عن كَثَبٍ لا عن كُتُب، عرفته أستاذًا عالمًا متمكنًا، وعرفته أبًا مشفقًا حانيًا، وعرفته متواضعًا زاهدًا عابدًا. والحديث عن تفاصيل ذلك مما تضيق عنه هذه العجالة.

وبعد أن قام الحراك الشعبي في وجه الظلم الجاثم فوق أنفاس الشعب السوري، كان د. نور الدين عتر ممن وقع على بيان علماء حلب الشهير (٢٠١١م)، مع العلم أن شيخنا رحمه الله كان ينأى بنفسه عن الخوض في الأمور السياسية، ويتحرز أشد التحرز أن يظفر مُجالسه

---

٤ وهي إنجاز **كتاب دار السنة دار الحديث النورية تاريخها وتراجم شيوخها** دفاعًا عنها في ظروف صعبة.

٥ **سنن الترمذي**، (٣٨٥٢).

٦ يوجد نص البيان في مواقع كثيرة على الشابكة.

بكلمة ينقلها عنه في ذلك، وقد استنكر ذلك البيان سفك الدماء وهتك الأعراض، وطالب بإطلاق سراح معتقلي الرأي.[٦]

ثم اختار شيخنا رحمه الله العزلة عن الخوض فيما يجري، والبقاء على ثغره في البلاد، ورغم أن عددًا ممن اختاروا الاصطفاف مع الطغاة الظالمين كانوا يحيطون بشيخنا ويتبجحون بصلتهم به إلا أنهم عجزوا خلال ثمانية أعوام أن يظفروا منه بكلمة واحدة أو موقف واحد ينتشي به باطلهم.

وإنما تطرقت إلى ذكر هذا إشفاقًا على الحقيقة أن يلبّسها على الناس من ارتضى لهم دينهم وعقلهم أن يكونوا من جنود الباطل.

* * *

زرت شيخنا رحمه الله في عيد الأضحى ١٤٣٣هـ (٢٠١٢م) ولم أكن أدري أن تلك الزيارة ستكون هي اللقاء الأخير! قدَّر الله وما شاء فعل.

وفي غربتي ... من بعيد: بين الحين والحين كنت أرسل السلام إلى شيخنا رحمه الله وأطلب دعاءه، ويصلني كذلك سلامه ودعاؤه.

وكان آخر إكرامه لي: إهداؤه لي في غربتي النسخة الجديدة من **إعلام الأنام**، ثم الطبعات الأخيرة من **شرح علل الترمذي**، و**النخبة**، و**الإرشاد**، و**الرحلة**، و**أصول الجرح والتعديل**.

جزى الله عني أستاذي د. نور الدين عتر خير ما جزى أستاذًا عن تلميذه.

رحمه الله آنسه الله عوضه الله الجنة وجمعنا به في زمرة أهل الحديث تحت لواء الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

Muhammed Mücîr el-Hatîb, Dr.
د. محمد مجير الخطيب الحسني
شيخ دار الحديث النورية بدمشق
ORCID 0000-0001-8454-9903
DOI 10.26570/isad.846724